

الامتزاج بالوطن

وقد أحاطته هذه العشيرة بالمعطف والرعاية، وغمرته من جميع نواحيه بالحنان البالغ، فلأت كل ما كان يحسه من فراغ، وأنسته كل ما كان يجده من وحشة، فما أسرع ما استجاب لها واندمج فيها، وما أسرع ما استبدل أهلا بأهل وأحبابًا بأحباب. وسطت عليه حياة مكة سلطاتها، فصار مكيًا كأهل مكة، وتبينت له فيها معالم لم يكن يراها، فظل يعرفها واحدة بعد واحدة حتى عرفها جميعًا.

هذه هي الكعبة، بيت الله الحرام، الذي يحج إليه الناس من مشارق الأرض ومغاربها.. وهذه هي دار الندوة، تجتمع قريش ومُتتداهها، ومُعقِد أفراسها وأتراسها وقضاياها.. وهذه رحلة الشتاء إلى الجنوب، وهذه رحلة الصيف إلى الشمال، تذهب فيها العير محملة بمحاصلات الحجاز، وتعود محملة بمحاصلات الشام والعراق واليمن وبلاد الحبش، فتحتفل لها قريش أئما احتفال... وهذه وفود الحاج تأتي إلى مكة في موسم الحج، فتمتلئ بها الدور والقصور، وتغص بها الطرق والرحاب، وتعمر الأسواق بالسلع والبضائع، وتنشط حركة البيع والشراء، والأخذ والعطاء.. وهذه، وهذه، وهذه... من مظاهر الحياة في مكة،